العدد 14 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية تموز 2026
No. 14 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences July 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

دور السياق في توجيه المعنى التفسيري في سورة الملك في تفسير الامثل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي

م.م. علاء حاكم عباس
المديرية العامة للتربية في محافظة القادسية

المستخلص

ركز هذا البحث على اظهار أهمية دور سياق القرآني في توجيه المعنى عند المفسرين وبالاخص عند الشيخ ناصر مكارم الشيرازي(دام ظله) في تفسيره الامثل في كتاب الله المنزل حيث يعتبر السياق القراني من اهم الركائز والأسس التي يعتمدها المفسر للوصول الى المعنى الحقيقي الذي لا يحتمل الشك من خلال ملاحظة ما قبل وما بعد النص المراد تفسيره مع الاخذ بنظر اعتبار سياق الآية وسياق السورة وسياق القرآن الكريم للوصول الى المعنى المراد

الكلمات المفتاحية: دور السياق، تفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي،سورة الملك

The Role of Context in Guiding Interpretive Meaning in Surah Al-Mulk in Tafsir Al-Amthal by Sheikh Nasser Makarem Shirazi

A.L. Alaa Hakim Abbas
General Directorate of Education in Al-Qadisiyah Governorate

Abstract

This research focuses on highlighting the importance of the role of the Qur'anic context in directing meaning according to the interpreters, especially Sheikh Naser Makarem Shirazi in his interpretation Al-Amthal fi Tafsir Kitab Allah al-Munzal. The Qur'anic context is considered one of the most important foundations and principles relied upon by the exegete in order to reach the true meaning that leaves no room for doubt. This is achieved through observing the textual context before and after the verse intended for interpretation, while taking into account the context of the verse, the context of the surah, and the context of the Holy Qur'an as a whole in order to arrive at the intended meaning.

Keywords:The Role of Context, Tafsir al-Amthal, Naser Makarem Shirazi Surah Al-Mulk**.**

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على من كان خلقه القرآن محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

يُعد "السياق" من أهم الاساسيات المهمة والمعتمدة التي يجب اعتمادها في علم تفسير القران الكريم، إذ به يتحدد المراد من اللفظ المحتمل لعدة معانٍ، وبه يُدفع التعارض الظاهري بين الآيات[1]. وقد أولى المفسرون المعاصرون عناية خاصة بالسياق، ومن أبرزهم الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في موسوعته التفسيرية "الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل".[2]

---

[1] الزركشي،بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن،دار المعرفة، ج٢،ص٢٠٠ سبب

[2] الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل،ط١,ج١،ص١٩.

وكانت إشكالية البحث هي ما مدى اعتماد الشيخ الشيرازي على السياق بأنواعه في توجيه معاني آيات سورة الملك؟ وكيف أسهم ذلك في بيان المقصد الكلي للسورة؟

وقد اعتمد الشيخ مكارم الشيرازي (دام ظله) في تفسيره المزاوجة بين ما بين هو معاصر مع الحفاظ على التراث التفسير للقران الكريم اذ من خلاله بين الدور يلعبه السياق لرفع الشبهات العقدية الواردة في سورة الملك وخصوصا في قضايا التوحيد والبعث.

وقد اعتمدت في بحثي على المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال استقراء تفسير سورة الملك كاملة التي جاءت في الجزء الثامن عشر من تفسير الامثل لكتاب الله المنزل وبيان اثر السياق في توجيه المعنى فيها.

التمهيد

نبذة عن حياة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي:

تتميّز الشخصيات العلمية البارزة بإسهاماتها الواسعة في ميادين العلم والتأليف، ومن بين هذه الشخصيات الشيخ ناصر بن محمد كريم بن محمد باقر مكارم الشيرازي، المولود سنة 1342هـ في مدينة شيراز، والذي يُعدّ من المراجع الدينية الشيعية المعاصرة في إيران، وله حضور علمي وفكري بارز من خلال مؤلفاته وإسهاماته في الدراسات الإسلامية. كان من الشخصيات التي لها دور بارز ورئيسي في الثورة الإسلامية، فقد نفي الشيخ إلى عدد غير قليل من المدن النائية، ويعتبر في يومنا هذا من أبرز قيادات ايران الدينية.

ولادته ونشأته

وُلِد ناصر بن محمد كريم بن محمد باقر مكارم الشيرازي سنة 1342هـ الموافق لعام 1924م في مدينة شيراز جنوب إيران، ونشأ في أسرة عُرفت بالتديّن والالتزام الديني. ينحدر جدّه الأكبر محمد باقر من أسرةٍ تجارية معروفة في مدينة شيراز، حيث كان يمارس نشاطه التجاري في منطقة «سراي نو» التي تُعد من المراكز الاقتصادية النشطة آنذاك. وقد تميز بأسلوبه المحافظ في المظهر، إذ كان يرتدي لباساً قريباً من زيّ رجال الدين، الأمر الذي يعكس تأثره بالبيئة الدينية والاجتماعية السائدة في المدينة. كما كان يُعرف بمواظبته على أداء صلاة الجماعة بانتظام في «مسجد مولاي» في شيراز، مما يدل على حضوره الديني الفاعل داخل المجتمع المحلي.

أما جدّه محمد كريم، وهو ابن محمد باقر، فقد واصل هذا النسق من الجمع بين النشاط الاقتصادي والاهتمام بالشأن الديني؛ إذ كان يرتدي العمامة أيضاً، غير أنّه كان يعتمد قبعة أثناء مزاولته العمل في السوق، وهو ما يعكس التوازن بين المظهر الديني ومتطلبات الحياة المهنية. وقد شغل وظيفة موظف في «سوق الجمارك»، ثم انتقل للعمل في «سوق وكيل»، وهما من الأسواق التجارية المهمة في شيراز. وإلى جانب نشاطه الوظيفي، عُرف محمد كريم بالالتزام الديني، حيث داوم على حضور صلاة الجماعة في «مسجد مولاي»، مما يعكس استمرارية الارتباط الروحي بالمؤسسة الدينية في المدينة.

كما ارتبط بعلاقات اجتماعية وعلمية وثيقة مع عدد من العلماء والمراجع الدينية البارزين في عصره، ومن بينهم محمد جعفر المحلاتي، والد المرجع الديني بهاء الدين المحلاتي، إضافة إلى صلته بآية الله محمد جعفر الطاهري. وتُبرز هذه العلاقات طبيعة انخراطه في محيط علمي وديني نشط، أسهم في تعزيز مكانته الاجتماعية ضمن بيئته المحلية.[3]

تابع ناصر بن محمد كريم بن محمد باقر مكارم الشيرازي مسيرته التعليمية في مرحلتي الدراسة الابتدائية والثانوية داخل مدينة شيراز، قبل أن يتجه في سن مبكرة نسبياً، لا تتجاوز الرابعة عشرة تقريباً، إلى الانخراط الرسمي في دراسة العلوم الدينية. وقد التحق في هذه المرحلة بـ«مدرسة آقا بابا خان» في

[3] مصدر الكتروني،ويكيبيديا

شيراز، التي كانت تُعد من المؤسسات العلمية الدينية البارزة، حيث بدأ بتلقي العلوم الأساسية في المنظومة الحوزوية، ومنها الصرف والنحو والمنطق، إضافة إلى علوم المعاني والبيان والبديع، فضلاً عن دراسته لمادتي الفقه وأصول الفقه اللتين تُعدان من الركائز الأساسية في التكوين العلمي الحوزوي.

وقد أظهر خلال هذه المرحلة المبكرة تميزاً لافتاً في قدراته الذهنية والتحصيلية، إذ اتسم بسرعة الفهم ودقة الاستيعاب، مما مكّنه من إنهاء مراحله الدراسية في مدة زمنية أقصر مقارنة بأقرانه. وقد انعكس هذا التفوق في حضوره الفاعل داخل المجالس العلمية وحلقات الدرس، حيث بدأ يشارك تدريجياً في النقاشات العلمية، الأمر الذي أسهم في بروز اسمه ضمن الأوساط العلمية في مرحلة مبكرة من عمره.

ومع استمرار تطوره العلمي، تعمّق في دراسة العلوم الدينية وهو في سن مبكرة للغاية، إذ لم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة عندما قام بتأليف حاشية على كتاب «كفاية الأصول»، وهو من المتون الأصولية المعروفة والمعقدة في الحوزة العلمية. ويُعد هذا الإنجاز مؤشراً واضحاً على نضجه العلمي المبكر، وتمكنه من مباحث أصول الفقه وامتلاكه أدوات الاجتهاد الأولية في تلك المرحلة.

وبعد ذلك، انتقل إلى مدينة قم لاستكمال دراسته الحوزوية، حيث التحق بالحوزة العلمية هناك، وتتلمذ لمدة تقارب خمس سنوات على يد عدد من كبار العلماء، وفي مقدمتهم آية الله حسين البروجردي، الذي يُعد من أبرز المرجعيات العلمية في ذلك العصر. وقد أسهمت هذه المرحلة في تعميق تكوينه الفقهي والأصولي، وتوسيع آفاقه العلمية ضمن بيئة حوزوية متقدمة.

ثم واصل رحلته العلمية بالانتقال إلى مدينة النجف الأشرف، حيث انضم إلى الحوزة العلمية هناك، وحضر دروس عدد من كبار المراجع والعلماء، من أبرزهم محسن الحكيم، وأبو القاسم الخوئي، وعبد الهادي الحسيني الشيرازي. وقد شكّلت هذه المرحلة امتداداً مهماً في مسيرته العلمية، إذ أتاحت له الاحتكاك المباشر بمدارس فقهية وأصولية متعددة، أسهمت في صقل شخصيته العلمية وتطوير منهجه في البحث والدراسة.[4]

دوره الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في الثورة الإسلامية الإيرانية

كان لـ ناصر بن محمد كريم بن محمد باقر مكارم الشيرازي دورٌ بارز وأساسي في دعم الثورة الإسلامية الإيرانية والمشاركة في نشاطاتها الفكرية والسياسية، الأمر الذي أدى إلى تعرّضه للاعتقال من قبل نظام الشاه، وقضائه سنوات من عمره بعيداً عن وطنه وأسرته. وقد تنقّل خلال تلك المرحلة بين السجون ومناطق النفي، ومن بينها جابهار، ومهاباد، وأنارك.

كما كان له حضور مؤثر في الجوانب الفكرية والسياسية بعد الثورة، إذ شارك بفاعلية إلى جانب الخبراء والمسؤولين في صياغة وإقرار القوانين السياسية، مستفيداً من مكانته العلمية والفكرية في دعم مسيرة الدولة والمؤسسات الدستورية.

مؤلفاته

له مؤلفات عديدة وفي مجالات مختلفة وتركزت اغلبها في مجال الفقه والفتاوي والاستفتاءات الشرعية وسوف نذكر بعض من هذه المواصفات منها:

مديريت فرماندهى در إسلام، باللغة الفارسية.

معاد وجهان بس از مرك، باللغة الفارسية.

التعزير وحدوده، باللغة الفارسية.

---

[4] نفس المصدر

الحيل الشرعية والحلول لصحيحة، باللغة الفارسية.

مجموعه استفتائات جديد، باللغة الفارسية.

أحكام نوجوانان، باللغة الفارسية.

أحكام الشباب، باللغة الفارسية.

أحكام النساء، باللغة الفارسية ـ العربية

ألف مسألة فقهية، باللغة الفارسية، العربية، الانجليزية، الصينية، الاوردية،

السياق لغةً

عرّفه ابن فارس في كتابه (معجم مقاييس اللغة) عند حديثه عن الجذر (س و ق)، إذ قال: «السين والواو والقاف أصلٌ واحد، وهو حَدْوُ الشيء. يقال: ساقه يسوقه سوقاً، والسَّيِّقة: ما استيقَ من الدواب.[5]

وقد تناول العديد من العلماء تعريف السياق فبالإضافة إلى ابن فارس فقد تناولها العالم اللغوي ابو القاسم

الزمخشري (رحمه الله) فقد عرفه وحصره بالحديث فقط حيث قال" وهو يسوق الحديث أحسن سياق، (واليك يساق الحديث)، وهذا الكلام مساقةٌ الى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه، أي على سرده"[6]

اما بالنسبة لتعريف السياق عند ابن منظور في لسان العرب قال فيه" ساق الابل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسواق شدد المبالغة"[7]

وقد ورد لفظ السياق أيضا بصورة صريحة في القران الكريم قال تعالى((وَجاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهِيدٌ))(ق-21)[8] .

ورد مفهوم السياق في عددٍ من المصادر اللغوية والنقدية، حيث حظي باهتمامٍ واضح في الدراسات اللسانية والدلالية بوصفه عنصراً أساسياً في تحديد المعنى وتوجيه الدلالة. وقد تناول عبد المنعم هذا المفهوم في كتابه *نظرية السياق* من خلال تعريفٍ تفصيلي يبرز أبعاده المتعددة، سواء اللغوية أو التداولية أو الدلالية، مع التأكيد على دوره في الكشف عن المعنى المقصود ضمن البنية النصية والظروف المحيطة بها.

كما ورد مفهوم السياق في كتب التفسير بمعانٍ دلالية مرتبطة بالفعل والحركة والانتظام، إذ يُشار إليه في بعض المواضع بقولهم: «سائق يسوقها إلى محشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها»، في إشارة إلى تتابع الأحداث وانسجامها في سياقٍ محدد. ويُستعمل أيضاً في اللغة العربية بصيغة الفعل للدلالة على التتابع والانتظام، فيُقال: «انساقت الإبل وتساوقت»، أي تتابعت في سيرٍ واحد متناسق، وهو ما يعكس البعد الحركي والتنظيمي لهذا المفهوم في الاستعمال العربي القديم.

وعليه، فإنّ السياق في اللغة يدلّ على التتابع والانتظام والسير ضمن نسق واحد، أما في الاستعمال اللغوي للكلمات والتراكيب، فإنّ سياق الكلمات يُقصد به تتابعها وترابطها داخل الجملة أو العبارة بما يسهم في توضيح المعنى وتحديد الدلالة."[9].

السياق اصطلاحاً

---

[5] احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٠هـ١٩٩٩م

[6] ابو القاسم الزمخشري، اساس البلاغة، دار المعرفة، بيروت، ص٣١٤

[7] محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥

[8] القران الكريم، سورة ق، الاية ٢١

[9] عبد المنعم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء، ط١، ٢٠٠٧

لم يثبت تعريف السياق تعريفا ثابتا عند الباحثين والعلماء فقد عرفوه بتعاريف شتى وسبب هذا الاختلاف راجع ان العلماء الاوائل لم يعرفوه تعريفا اصطلاحيا شاملا وجامعا وانما ركزوا على اهميته فقط ،وهذا لا يمنع ان بعض العلماء تناول تعريفه وذكره في مصادر.

ويُعدّ محمد بن إدريس الشافعي من أوائل من تناول مفهوم السياق بصورة واضحة في التراث العربي والإسلامي، وذلك في كتابه الرسالة، حيث أشار إلى أهمية السياق في فهم دلالات الخطاب وتحديد المقصود من الألفاظ. فقد بيّن أن الله تعالى خاطب العرب بلسانهم وعلى وفق ما تعارفوا عليه من أساليب التعبير وطرائق الدلالة، وأن من طبيعة لغتهم أن يَرد اللفظ عاماً ويُراد به العموم، أو عاماً يدخل فيه الخاص، أو ظاهراً يُقصد به معنى غير ظاهره، ويُفهم ذلك من خلال سياق الكلام وأجزائه المختلفة.

كما أوضح أن المعنى قد يتبين من أول الكلام أو وسطه أو آخره، وأن بعض الألفاظ لا يتضح مقصودها إلا بما يأتي بعدها من تتمة الخطاب، وهو ما يؤكد الدور الأساس للسياق في الكشف عن المعاني وتحديد الدلالات المقصودة في النصوص اللغوية والشرعية."[10]

كما تناول عددٌ من الباحثين مفهوم السياق بتعريفاتٍ اصطلاحية متعددة، من بينها ما أورده فريد عرّوض، إذ عرّف السياق بأنه «علاقة لغوية وخارج نطاق اللغة يظهر فيها الحدث الكلامي». ويشير هذا التعريف إلى أن السياق لا يقتصر على البنية اللغوية الداخلية للنص فحسب، بل يمتد ليشمل العناصر الخارجية المحيطة بالفعل الكلامي، بما في ذلك الظروف الاجتماعية والثقافية والمقامية التي يتم فيها إنتاج الخطاب وتلقيه." [11]

وقد عرف ابن دقيق العيد السياق في كتابه إحكام الأحكام على انه

" أما السياق والقرائن، فهما يُعدّان من أهم الأدوات الدلالية في تحديد مراد المتكلم وفهم مقصوده من كلامه، إذ يُنظر إليهما بوصفهما عناصر تفسيرية تُسهم في رفع الالتباس وتعيين المعنى المقصود. فالسياق يُمثّل الإطار العام الذي يرد فيه الخطاب، بما يشمله من معطيات لغوية ومقامية، في حين تُعدّ القرائن مؤشرات داخلية أو خارجية تُعين على توجيه الدلالة نحو المعنى المراد بدقة.

وبذلك فإن اجتماع السياق مع القرائن يؤدي دوراً محورياً في الكشف عن نية المتكلم، وفهم دلالات الألفاظ ضمن بيئتها التداولية، لا على أساسها المعجمي المجرد فقط، مما يجعل المعنى أكثر وضوحاً واتساقاً مع المقام الذي ورد فيه الخطاب."[12]

اما السيوطي (رحمه الله) فقد كان له تعريف آخر في الإتقان حيث عرفه بقوله" عليه- أي المفسر- بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي ومراعاة التأليف، والغرض الذي سيق له الكلام" [13]

اما ابن الانباري فقد عرفه في الاضداد" ان كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه "[14]

لمفردات اللغة العربية دلالات واسعة المعاني فلا يمكن تحديد المعنى المراد من المفردة اللغوية الا اذا تم الاخذ بنظر الاعتبار السياق الذي وردت فيه مع مراعاة ما قبل وما بعد المفردة وفي هذه الحالة يتبين المقصود من وضع المفردة في هذا المكان من غيره ويسقط تعدد المعاني المشتركة التي توحيها والمأخوذة من التعميم غير الناظر للأمور المتقدمة واللاحقة وعندها يتم الجزم بالمقصود بأحد المعاني المطلوبة.

---

[10] الامام الشافعي، الرسالة
[11] فريد عوض حيدر، في علم للدلالة، القاهرة، ط١،ص١٥٧، ٢٠٠٥
[12] ابن دقيق العيد، احكام الاحكام شرح عمدة الاحكام، ج١، طبعة موسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٥
[13] السيوطي، الاتقان في عام القرآن، ج٦، ط١، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية
[14] محمد الانباري، كتاب الاضداد، تحقيق: محمد ابو الفضل، دار التراث العربي، الكويت، ١٦٠/ص٢

ومن هنا تأتي أهمية السياق القرآني لمعرفة وتفسير كلام الله تعالى وبيان المطلوب منه.. يعتبر السياق الركن الأساس للوصول الى هذا العلم وإدراكه، وبإهمال هذا الركن (لا سامح الله) فان المفسر قد تزل قدمه عن جادة الصواب في إدراك المعنى وبيانه ويقع في مواقع الزلل والخطأ، وتكون آرائه متسمة بالعلل والنقص. ومن هنا تظهر لنا واضحة جلية اهمية السياق القرآني واهتمام علمائنا به كونه القرين الأقوى التي لا تضاهيها قرائن في فهم النص وايجاد المعنى المراد منه فقد شغل عندهم مكانه خاصة.[15]

لذلك فقد أولى العلماء المتقدمين منهم والمتأخرين أهمية خاصة في دراسة السياق القرآني وتفريعاته وانواعه حيث قسموه على عده انواع ومن هذه الأنواع هي:

1- السياق اللغوي

تناول عددٌ من علماء اللغة المحدثين مفهوم السياق اللغوي بتعريفاتٍ متعددة، من أبرزها ما قدّمه محمد العبادي، إذ عرّفه بأنه «النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، وهو يشمل عندهم الكلمات والجمل السابقة واللاحقة للكلمة والنص الذي ترد فيه». ويعكس هذا التعريف التصور البنيوي للسياق بوصفه شبكة من العلاقات اللغوية الداخلية التي تُحدّد معنى الوحدة المعجمية داخل النص.

وبناءً على ذلك، فإن السياق اللغوي لا يُفهم بمعزل عن البنية النصية المحيطة بالكلمة، بل يتحدد من خلال علاقاتها بما يسبقها وما يلحقها من ألفاظ وجمل، إضافة إلى موقعها داخل البناء الكلي للنص، الأمر الذي يجعل المعنى متوقفاً على هذه العلاقات التركيبية المتداخلة."[16]

اي بمعنى ان المفردة اللغوية الواردة في نص ما ترتبط ارتباطا وثيقا بما قبلها وما بعدها لتعطي المعنى المراد منها او التي وضعت له أساسا، لان كل مفردة في المعجم اللغوي لها معنى خاص يتغير بتغير السياق الذي وردت فيه مع اخذ النظر التركيب ما قبل وما بعد المفردة او الجملة المراد فهم معناها.

وفي هذا السياق يعرّف جوزيف فندريس مفهوم السياق بوصفه العنصر الأساس في تحديد قيمة الكلمة ودلالتها، إذ يرى أن الكلمة لا تُفهم بمعزل عن البيئة اللغوية التي تَرِد فيها، وإنما يتحدد معناها وفق السياق الذي تُستعمل ضمنه. فالسياق – بحسب فندريس – هو الذي يفرض على الكلمة دلالة محددة من بين الدلالات المتعددة التي يمكن أن تشير إليها، كما أنّه يُسهم في تخليصها من تراكمات المعاني السابقة المختزنة في الذاكرة، ويمنحها قيمة دلالية آنية تتناسب مع موضع استعمالها داخل الخطاب."

فالسياق عند فندريس هو من يحدد معنى الكلمة التي وردت فيه ويسقط جميع دلالات المعاني المحتملة التي تحملها هذه الكلمة.

2- سياق الموقف

يتولد هذا السياق من المواقف الخارجية التي يتعرض اليها الانتاج اللغوي حيث عرفه العديد من اللغويين لاسيما

الطريقة التي عرفها احمد حساني" يُقصد بالإطار الخارجي الذي يحيط بالإنتاج الفعلي للكلام في المجتمع اللغوي مجموعة الظروف والعوامل غير اللغوية التي تؤثر في عملية التواصل وتوجيه المعنى، مثل الظروف الاجتماعية والثقافية والنفسية والتاريخية التي يُنتج فيها الخطاب. ويشمل ذلك حال المتكلم والمتلقي، وطبيعة العلاقة بينهما، والمقام الذي يُقال فيه الكلام، والزمان والمكان، إضافة إلى العادات والتقاليد السائدة في المجتمع اللغوي."[17]

---

[15] عبد الباقي بدر الخارجي، قرينة السياق واثرها في النص القرآني، بحث، ص١١٧

[16] محمد الهادئ عياد، دراسات في اللسانيات المقارنة، مركز النشر العلمي، منوبة، ط١، ص١٢٨، ٢٠١٠

[17] احمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص١٥٨

ويُعرّف محمد يونس سياق الموقف بأنه يشمل كل ما يصدر عن المشاركين في عملية التخاطب من أقوال وسلوكيات أثناء إنتاج الكلام، إضافة إلى ما يحيط بهم من خلفية ثقافية ومعرفية تشكّل الإطار المرجعي لفهم الخطاب.

وبهذا المفهوم لا يقتصر سياق الموقف على الجانب اللفظي فقط، بل يمتد ليشمل الأفعال غير اللفظية، والتفاعلات بين المتكلمين، وما يمتلكه المشاركون من خبرات سابقة ومعارف اجتماعية وثقافية تؤثر في إنتاج المعنى وتلقيه. فهذه العناصر مجتمعة تُسهم في توجيه عملية التواصل وتحديد الدلالة المقصودة بدقة أكبر، لأن المعنى في ضوء هذا التصور لا يُفهم من النص وحده، وإنما من تفاعل النص مع ظروف إنتاجه وسياقه الاجتماعي والثقافي."[18]

مع الأخذ بنظر الاعتبار أن مفهوم السياق يتداخل فيه عدد من المصطلحات القريبة والملازمة له، مثل سياق الحال، ومقتضى الحال، والمقام، فإن هذه المفاهيم تُعد امتدادات تفسيرية للسياق اللغوي، وتسهم في توسيع دائرة فهمه من المستوى اللساني إلى المستوى التداولي والمقامي. إذ يرتبط كلٌّ من سياق الحال ومقتضى الحال بالموقف الكلامي والظروف المحيطة بعملية التخاطب، في حين يُشير «المقام» إلى الإطار العام الذي يُنتج فيه الخطاب ويُفهم من خلاله، الأمر الذي يستدعي بياناً تفصيلياً للعلاقة بين هذه المفاهيم وسياق الموقف بوصفه الإطار الأشمل الذي يضمها.

كما يتسع مفهوم السياق في الدراسات التفسيرية ليشمل معطياتٍ خارجية ذات أهمية في فهم النصوص، ومن أبرزها أسباب النزول التي تُعد عنصراً أساسياً في تفسير الآيات القرآنية وتحديد دلالاتها في ضوء الظروف التاريخية التي نزلت فيها. ويضاف إلى ذلك ما ورد في السنّة النبوية الشريفة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، بوصفها مصادر تفسيرية تُسهم في توضيح المعاني القرآنية وتحديد مقاصدها، مما يجعل السياق هنا بنيةً مركبة تتداخل فيها العناصر اللغوية والمقامية والتاريخية والتفسيرية في آنٍ واحد.

3- سياق الحال

يُعدّ هذا النوع من السياق، شأنه شأن الأنواع السابقة، محط اهتمام ودراسة لدى اللغويين والباحثين في مجال اللسانيات، لما له من دور في توضيح المعنى وتفسير الخطاب ضمن بيئته التداولية. وقد تناول ابن منظور مفهوم "الحال" في معجمه، مبيناً أن لفظة الحال تُشتق من الجذر (ح و ل)، وتدل في أصلها اللغوي على الكيفية التي يكون عليها الإنسان.

فالحال تعني الهيئة أو الوضع الذي يكون عليه الفرد، سواء أكان في حالة خير أم شر، ويُستعمل اللفظ للمذكر والمؤنث، كما يجمع على "أحوال". وبذلك فإن مفهوم الحال في اللغة يرتبط بالدلالة على الوضع المتغير للإنسان وظروفه المختلفة، وهو ما يتقاطع مع مفهوم السياق من حيث ارتباط المعنى بالظروف المحيطة والمتغيرة التي تؤثر في الفهم والتأويل."[19]

أمّا في الاصطلاح اللغوي الحديث، فإنّ سياق الحال يُعدّ تركيباً إضافياً يتكوّن من «السياق» مضافاً و«الحال» مضافاً إليه، وقد أصبح مصطلحاً فنياً في اللسانيات الحديثة يُشير إلى الإطار الذي تتم فيه عملية التفاهم بين المتخاطبين. ويشمل هذا السياق مجموعة من العناصر المؤثرة في إنتاج المعنى، من أبرزها زمن المحادثة ومكانها، وطبيعة العلاقة بين أطراف الخطاب، وما يجمعهم من قيم ومعارف مشتركة، إضافة إلى النصوص أو الأقوال السابقة التي تسبق عملية التخاطب وتسهم في توجيه دلالته وتحديد مقصوده."[20]

18[18] محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلاليا، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا، ص١٠٢

[19] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ج١١، ٢٠٠٤

[20] فريد عوض حيدر، فصول في علم الدلالة، مكتبة الاداب القاهرة، ط١، ص١٢٧، ٢٠٠٥

وحسب هذا التعريف فان سياق الحال يعني جميع المكونات التي تؤدي الى ايصال وفهم المعنى عند المتلقي او القارئ للسياق والذي من اهم مكوناته الكلمة ودلالة معناها ومستوى المعنى والجملة التي ورد فيها والنص الذي يحوي هذا كله والمناسبة التي قيل فيها هذا النص.

واذا طبقنا هذا الكلام على القرآن الكريم نجد ان هناك سياقات خاصة مثل سياق القران الكريم ،وسياق السورة ،وسياق النص وسياق الاية.

المبحث الثاني (المنهج التطبيقي)

1_الاية (١)

قال تعالى ((تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَعَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) الآية (1) [21]

عند مطالعة هذه الأية الكريمة نجد ان الشيخ ناصر مكارم الشيرازي قد فسر الأية بانها تؤكد على مسألة مالكية وحاكمية الله سبحانه وتعالى وخلود ذاته المقدسة واعتبرها مفتاحا لجميع الابحاث المباركة وهو بذلك قد استفاد من توظيف السياق اللغوي الدال على كثرة دوام الخير من لدنه سبحانه وتعالى وبلحاظ الآيات التالية لهذه الآية المباركة(2-4) تؤكد الآيات سياقها الظاهر على عظمة مظاهر قدرة الله تعالى كخلقه للموت والحياة والسماوات والارض، وكل هذا بنظام متقن خالي من العيوب والهنات وهو بذلك يستفيد من توظيف كلمة (تبارك)التي استهلت بها السورة المباركة ليجعلها معنى شاملا غير مقتصر على البركة والنماء فقط انما وسع دائرتها المعنوية ليشمل قدرته وعظمته جل شأنه.

ويظهر هذا المعنى بوضوح في تفسير الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، حيث يشير إلى أن الآية الكريمة تضمنت دليلاً ضمنياً على اتصاف الذات الإلهية بالبركة، مستنداً في ذلك إلى مفهوم المِلكية المطلقة والحاكمية الشاملة لله تعالى على الوجود، إضافة إلى قدرته المطلقة على كل شيء. وبناءً على هذا التصور، فإن وجوده سبحانه وتعالى يُعد وجوداً فياضاً بالخير والبركة، لا يعتريه النقص أو الزوال، بل يتسم بالديمومة والكمال المطلق.[22]

2- الآية(٢)

قوله تعالى ((الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَالْعَزِيزُ الْغَفُورُ))

استفاد الشيخ ناصر مكارم الشيرازي هنا في هذه الآية الكريمة توظيف سياق السورة نفسها(سورة الملك) في التقديم والتأخير، بحيث قدم لفظ الموت على الحياة وهو مخالف للترتيب الطبيعي الذي اوجدته قوانين الطبيعة حيث غالبا ما تغلب الحياة الموت وهنا نكتة سياقية أراد الله سبحانه وتعالى من خلالها تنبيه المنكرين لقضية البعث ما بعد الموت اذ ان الموت في اذهان هؤلاء المنكرين أقرب في مقام التقريع والتخويف حيث يقول الشيخ الشيرازي" ثم إنّ تقديم ذكر الموت على الحياة في هذا السياق إنما يُلحظ فيه الأثر العميق الذي يتركه استحضار الموت في وعي الإنسان، وما يترتب عليه من سلوك قويم وأعمال قائمة على الطاعة والالتزام. كما أن هذا التقديم يستند أيضاً إلى اعتبارٍ مفاده أن الموت من حيث الحقيقة الوجودية سابقٌ على الحياة، مما يضفي على الترتيب دلالة فكرية وتأملية ذات بعدٍ فلسفي وأخلاقي."[23]

3- الآيتين (3-4)

قوله تعالى((الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خاسِئاً وَهُوَحَسِيرٌ))

---

[21] القرآن الكريم، سورة الملك، الاية ٢

[22] ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار الاميرة، ط٢، بيروت لبنان، ٢٠٠٩

[23] نفس المصدر السابق

في هاتين الايتين الكريمتين نجد ان الشيخ ناصر مكارم الشيرازي قد استفاد من السياق اللغوي في فهم معنى" كرتين" حيث يرى انها تدل على التثنية في العدد انما تدل على التكرار والكثرة، حيث استدل على سياق النفي الذي يسبق كلمة" كرتين" والذي يدل في حد ذاته على مقام التحدي والتعجيز وتكون النتيجة في قوله تعالى" ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ" ونتيجة مراجعة في كل مرة هي انقلاب البصر حسيراً دون ان يجد اختلافا او خللا في خلق السماوات والأرض، ويؤكد ذلك المعنى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره بقوله" ويُراد بذلك أن الإنسان كلما أمعن النظر ودقّق في التأمل في عالم الخلق والوجود، ازداد إدراكه لانسجام هذا الكون وانتظامه الدقيق، بحيث لا يجد فيه أي خلل أو اضطراب يُذكر، بل يراه قائماً على نظام محكم وتناسق بديع يدل على عظمة الخالق وكمال تدبيره. [24]

4- الآية (5)

قوله تعالى ((وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَجَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ وَأَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ السَّعِيرِ))

هنا في هذه الآية نجد ان الشيخ ناصر مكارم الشيرازي قد استفاد من السياق المقامي كون سورة الملك مكية في نزولها وكما هو معلوم ان اغلب اهل مكة عند نزول القرآن الكريم كانوا وثنيين وقد عبدوا الكثير من الاشياء منها الكواكب، ومن هنا جاء سياق الآية الكريمة في الرد على هؤلاء الوثنيين بان هذه الكواكب (التي يعبدونها) ما هي الا خلق من خلق الله تبارك وتعالى خلقه وسخره ليكون مصابيح وعلامات يهتدي بها الساري في سفره.

ويؤكد هذا المعنى ما ذهب إليه الشيخ الشيرازي، إذ يقول: «إن نظرةً متأملة في ليلةٍ مظلمة خالية من الغيوم إلى جوّ السماء المليء بالنجوم كافية لإثارة الانتباه فينا إلى تلك العوالم العظيمة». ويُفهم من ذلك أن التأمل البصري في مظاهر الكون، ولا سيما في السماء بما تحويه من انتظامٍ ودقةٍ في حركة الأجرام السماوية، يُعد مدخلاً لإدراك عظمة الخلق واتساعه، وما ينطوي عليه من دلالاتٍ على القدرة الإلهية والحكمة في التدبير."[25]

5-الآيات (6-11)

قوله تعالى((وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ إِذا أُلْقُوا فِيها سَمِعُوا لَها شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قالُوا بَلى قَدْ جاءَنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَقُلْنا ما نَزَّلَ اللَّـهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ وَقالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ))

من خلال مطالة تفسير الآيات المذكورة في تفسير الأمثل نلاحظ ان الشيخ قد استفاد من توظيف سياق السورة عامة الذي يدل على التهديد والوعيد للمنكرين والجاحدين الذين كذبوا الرسل والآيات الواضحة حيث جعل هذه الآيات(6-11) تتوسط بين آيات الامتنان والتذكير بنعم الله سبحانه وتعالى على هؤلاء المنكرين ومن ثم العودة بعد التهديد والوعيد الى التذكير بنعم الله تعالى شأنه التي اسبغها على عباده ونجد ذلك في آيات السورة المباركة(15-24) وان هذا السياق من المستحيل ان يكون عشوائيا من غير انتظام وقصد بحيث تستفتح آيات السورة المباركة بعظمة خلق الكون وحاكمية الله سبحانه وتعالى وديمومة ملكه وازليته ثم ينتقل بعد ذلك الى تهديد المنكرين ووعيد الجاحدين ثم يعرج في نهاية السورة الامتنان على المؤمنين بما اسبغه عليهم من نعم ظاهرة وباطنة وهداية، وافضل هذه النعم واولها هي نعمة العقل حيث يقول الامام الصادق عليه السلام(من كان عاقلا كان له دين، ومن كان له دين دخل الجنة)[26]

وفي سياق تفسير هذه الآيات الكريمة، يقدّم ناصر بن محمد كريم بن محمد باقر مكارم الشيرازي قراءةً تحليلية موسّعة لهذا المعنى، مؤكداً أنّه من أعمق التعبيرات التي تكشف طبيعة العلاقة التلازمية بين العقل

---

[24] الشيرازي، تفسير الامثلة، ، ط٢، بيروتلبنان، ٢٠٠٩، ص٣٠٢

[25] نفس المصدر

[26] جعفر محمد الكليني، الكافي، دار الكتب الاسلامية، ج١،ط٣

من جهة، والحياء والدين من جهة أخرى. فهو يرى أن العقل لا يعمل في فراغ، بل يحتاج إلى إطارٍ قيميّ يوجّهه ويضبط مساره، يتمثّل في المنظومة الدينية التي تمنحه البعد الأخلاقي والمعياري في الحكم على الأشياء والسلوكيات.

ويبيّن أن انفصال العقل عن الدين يؤدي إلى اختلال في البنية الفكرية والسلوكية للإنسان، إذ يفقد العقل حينها مرجعيته الضابطة، فيتحوّل من أداةٍ للتمييز بين الحق والباطل إلى وسيلة تخضع للأهواء والمصالح الشخصية. وعند هذه النقطة تصبح المنظومة الدينية نفسها عرضةً للتأويل المنحرف أو التطبيق غير المتوازن، نتيجة غياب المرجعية الأخلاقية التي تضبط الفهم والتطبيق.

وبذلك، فإن العلاقة بين العقل والدين ليست علاقة تعارض، بل علاقة تكامل وتوازن؛ فالعقل يوفّر أدوات الفهم والتحليل، بينما يوفّر الدين الإطار القيمي الذي يمنع الانحراف ويضمن الاتساق في السلوك والفكر. ومن هنا يؤكد الشيرازي أن غياب هذا التكامل يؤدي إلى فقدان التوازن الموضوعي الذي يُفترض أن يحكم سلوك الإنسان وتفكيره، مما ينعكس سلباً على استقامة المنظومة الفكرية والأخلاقية ككل. [27]

6-الآية (١٢)

قوله تعالى((إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ))

وظف الشيخ الشيرازي في هذه الاية الكريمة سياق المقابلة في توجيه معنى المدح في الاية التي جاءت بعد الآيات التي سبقتها من ذم الجاحدين والمنكرين وتوصيف عذابهم بأدق التفاصيل، حيث ان الشيخ يوجه معنى المقابلة لمفردة(بِالْغَيْبِ) الى العباد المؤمنين الذين يخشون الله تعالى في الدنيا قبل ان ينتقلوا الى عالم الشهادة في الآخرة، وليس الخشية من الله سبحانه وتعالى في حالة غيابه علي الابصار حيث يقول الامام الحسين (عليه السلام) في دعاء يوم عرفة مخاطبا لله عز وجل

" هذا النص يُعبّر عن معنىً عرفانيّ عميق قائم على خطاب المناجاة، وفيه إبراز لحضور الله تعالى الدائم وشموله للخلق، مع التأكيد على قصور الإنسان في إدراك هذا الحضور رغم وضوح دلائله في الوجود.

فمضمون العبارة يقوم على تقرير حقيقة عقدية مفادها أن الله سبحانه وتعالى ليس غائباً حتى يُطلب له دليلٌ يدلّ عليه، ولا بعيداً حتى تكون الآثار الكونية هي الوسيط الوحيد للوصول إلى معرفته، بل هو أقرب إلى الإنسان من كل دليل وأوضح من كل أثر، غير أن قصور الإدراك البشري قد يحجب هذه الحقيقة عن بعض القلوب. ومن هنا تأتي صيغة التعجب الإنكاري في قوله: «متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك»، وهي صيغة تُبرز شدة الحضور الإلهي وشمول الإحاطة الربانية.

ثم ينتقل النص إلى بيان أثر هذا الغفلة على الإنسان، فيصفها بأنها «عمى عين لا تراك عليها رقيباً»، أي أن المشكلة ليست في غياب الدليل، بل في قصور البصيرة عن إدراك الدليل رغم حضوره، وفي إغفال حقيقة الرقابة الإلهية المستمرة على الإنسان. ويُختتم النص بتعبير يحمل بُعداً أخلاقياً وروحياً عميقاً، إذ يشير إلى خسران الإنسان الذي لم يجعل لحب الله نصيباً في قلبه، فيقول: «وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً»، وهو تصوير بلاغي للخسران الحقيقي المتمثل في فقدان القرب الإلهي والحرمان من محبة الله ورضاه." [28]

ويجد هذا المعنى تأكيداً له في *تفسير الأمثل*، حيث يذهب الشيخ ناصر مكارم الشيرازي إلى أن هذا التعبير القرآني يمكن أن يُفهم على أنه إشارة إلى أهمية خلوص النية في ترك الذنوب والمعاصي، والالتزام الصادق بالأوامر الإلهية. إذ يُحتمل أن يكون المقصود هو أن الأعمال التي تُؤدى في الخفاء تكون أقرب

[27] الشيرازي، تفسير الامثل، ، ص٣٠٨
[28] الشيخ عباس القمي،مفاتيح الجنائن، ، موسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت،ط١، ٢٠٠٣

إلى الإخلاص وأبعد عن شوائب الرياء وحب الظهور، الأمر الذي يجعلها أكثر نقاءً وقبولاً عند الله تعالى، لما فيها من صدق النية وسلامة المقصد. [29]

7- الآيتين (13-14)

في قوله تعالى((وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهو اللطيف الْخَبِيرُ))

وهنا في هاتين الآيتين الكريمتين نجد ان الشيخ الشيرازي قد استفاد من السياق الاستدلالي فهو يرى ان الاية 14 هي تعليل للآية 13 اذ بلحاظ سياق الآية 14(أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) هو حجة ودليل عقلي على ان الله تبارك وتعالى السماوات وما في الارض وما خفي في الصدور يستند ناصر بن محمد كريم بن محمد باقر مكارم الشيرازي في هذا السياق إلى منهجٍ استدلالي يقوم على التأمل في المخلوقات وتكويناتها الدقيقة، وما يكتنف نظامها من إحكامٍ وتعقيدٍ منظم، بوصف ذلك دليلاً على العلم الإلهي الأزلي، وعلى لطف الله تعالى الدائم في تدبير شؤون الخلق. فالنظام الكوني، في نظره، ليس مجرد بنية مادية، بل هو شاهدٌ على حكمةٍ شاملة وإرادةٍ مدبّرة تُظهر دقة الصنع وعظمة الخالق.

وفي هذا الإطار، ينقل عن بعض المفسرين في تفسير اسم الله «اللَّطيف» أنه الذي يُكلّف العبد بما فيه يسيرٌ من التكليف، ويمنحه في المقابل عطاءً عظيماً وفيوضاً واسعة، بما يفوق مقدار العمل الظاهر. ويُفهم من ذلك أن اللطف الإلهي لا يقتصر على المعنى المجرد للرفق، بل يتجلى في دقة التدبير وشمول الرحمة، حيث تتجلى الحكمة الإلهية في إيصال النعم بأدق الوسائل وألطفها، وفي توزيع العطاء بصورة تعكس سعة الرحمة الإلهية وعمق إحاطتها بالخلق."[30]

كما وايد هذا التفسير جمع من المفسرين ومنهم الشيخ الطبرسي في مجمع البيان حيث ذكر للاية عدة وجوه منها" ألا يعلم ما في الصدور من خلق الصدور"[31]

8- الآية (15)

قوله تعالى((هُوَالَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَناكِبِها وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ))

في هذه الآية الكريمة وظف الشيخ الشيرازي وجه السياق سياق المقامي في تفسير الآية الكريمة لانه قد فهم من مقطعها امتنان جديد بعد التهديد والوعيد لان السورة كلها مقامها مكي ويغلب عليها مخاطبه الوثنيين والمشركين وابطال حججهم الواهية من خلال(فَامْشُوافِي مَناكِبِها) وايضا(كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) وهما في باب الامتنان والتذكير والاستدلال السورة المكية كما قلنا سابقا والتي افتتحت ((تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ)) واختتمت((قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ)) واللتان تدلان، بحسب فهم الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، على الامتنان الإلهي وتذكير الإنسان المتكرر بنعم الله سبحانه وتعالى، بوصف ذلك أسلوباً تربوياً يجمع بين الترغيب والترهيب في الخطاب القرآني. إذ يرى أن النص القرآني، في الآيات موضع البحث، ينتقل بين عرض النعم الإلهية من جهة، وبين الإشارة إلى أنواع من العذاب الإلهي من جهة أخرى، وذلك ضمن منهجٍ هادف إلى بناء الوعي الإيماني لدى الإنسان.

وفي هذا السياق يوضح الشيخ الشيرازي أن هذا الأسلوب القرآني يهدف إلى ترسيخ مبدأ الترغيب لأهل الطاعة من خلال التذكير بالجنة وما أُعدّ فيها من ثواب، وفي المقابل يأتي أسلوب الإنذار لردع أهل المعصية عبر التذكير بالنار وما فيها من عقاب. وبذلك يتجلى التوازن التربوي في الخطاب القرآني الذي

---

[29] الشيرازي، تفسير الامثل،، ص٣٠٩
[30] نفس المصدر
[31] الطبرسي، مجمع البيان لعلوم القران، ج١٠، ص٨٢

يجمع بين التحفيز الروحي والردع الأخلاقي في آنٍ واحد، بما يضمن توجيه السلوك الإنساني نحو الاستقامة والالتزام.[32]

9- الآيتين (16- 17)

قوله تعالى ((أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذا هِيَ تَمُورُ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ))

نجد في هاتين الآيتين الكريمتين ان الشيخ الشيرازي قد استفاد من توظيف السياق العقدي من خلال دفع المتشابه في هذا الموضع المهم حيث ان قوله تعالى((مَنْ فِي السَّماءِ)) يوهم(والعياذ بالله) بالتحديد والجهة لذاته سبحانه وتعالى ومن هنا قد دفع الشيخ الشيرازي لدفع هذا التشابه بثلاثة سياقات

1. منها ما هو لغوي في قوله(فِي السَّماءِ) بمعنى "على" وهو المعنى الذي فهمه السمعاني وغيره من المفسرين "ولأصلبنكم في جذوع النخل) معناه: على جذوع النخل، وذكر كلمة" في" ؛ لأن المصلوب يصلب مستطيلا على الجذع؛ فالجذع يشتمل عليه"[33]
2. السياق العام للسورة حيث نجد ان جميع آيات السورة تنص على نقل الشريك لله سبحانه وتعالى وتنص على اثبات مطلق قدرته وكماله ، فكيف للمطلق ان يكون محدودا بزمان ومكان معينين!
3. السياق القرآني العام المحكم في اغلبه ينص على انه((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَالسَّمِيعُ الْبَصِيرُ))

ومن خلال هذه السياقات الثلاث وجه الشيخ الشيرازي من الجهة الحسية المتوهمة الى الجهة المهيمنة والقاهرة

حيث يوضح الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسير الأمثل أن التعبير القرآني بـ«مَنْ فِي السَّماءِ» يُعدّ إشارةً إلى الذات الإلهية المقدسة، على سبيل الكناية والتنزيه، لا بمعنى التحديد المكاني، بل للدلالة على علوّ المقام الإلهي وجلاله. ويبيّن أن حاكميته تعالى على السماوات ومن فيها أمرٌ ثابت ومسلَّم به في العقيدة، فإذا كانت هذه الحاكمية شاملة لعالم السماوات، فإن شمولها للأرض وما فيها أولى وأظهر من باب قياس الأولى.

وبذلك يؤكد الشيخ أن هذا الأسلوب القرآني يرسّخ في الذهن عقيدة التوحيد في الحاكمية المطلقة لله تعالى، من خلال الانتقال من المعنى الأعلى (السماء) إلى الأدنى (الأرض)، لإثبات شمول السلطة الإلهية لكل الوجود دون استثناء. [34]

10- الآيات (19-20)

في قوله تعالى(أَ وَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ما يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ أَمَّنْ هذَا الَّذِي هُوَجُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ إِنِ الْكافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ))

نجد في هاتين الآيتين الكريمتين أن السياق استدلالي حسي يفهم منه التبكيت والتحدي للجاحدين والمنكرين بتهديدهم وبتذكيرهم بأخبار الامم السالفة وربطه بالحاضر المعاش عن طريق الاية السابقة((هُوَالَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً)) يمه وعرج الشيخ الشيرازي على قدره الله وعظمته في نكتة سياقيه مهمة((صافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ)) حيث استفاد الشيخ الشيرازي من هذه العبارة انها دلالة على حالات طيران الطيور بمختلف اشكالها حيث يقولليُبيّن الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره أن التعبير القرآني بـ«الصافات ويقبضن» قد يُفهم على أنه إشارة إلى طيور متعددة الأنواع أو إلى حالات مختلفة من الطيران. فلفظ «الصافات» يدل على الطيور وهي تبسط أجنحتها أثناء الطيران، بينما «يقبضن» يشير إلى حالة أخرى تقوم فيها الطيور بضمّ أجنحتها أثناء الحركة في الجو.

---

[32] الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار الاميرة، بيروت لبنان، ط٢، ص٣٠١١، ٢٠٠٩
[33] ابي المظفر السمعاني، تفسير السمعاني، تحقيق: ياسر بن ابراهيم وغنيم بن عباس،،ج٣،ط١،١٩٩٧
[34] الشيرازي، الامثل في كتاب الله المنزل، ط٢،

وبهذا التفسير يُبرز الشيخ أن النص القرآني يعكس دقةً في التصوير الحركي للطبيعة، حيث يجمع بين حالتين متقابلتين للطيران، بما يعكس تنوع المخلوقات وانسجام حركتها ضمن نظام كوني دقيق، وهو ما يُستفاد منه في الدلالة على عظمة الخالق وإحكام صنعه. [35]

اذ ان حال البسط هو الاصل عند الطيران، اما القبض فهي الحالة الاخطر لأنها تحتاج حفظا خاصا. والسياق هنا باجمله يظهر القدرة العظيمة في حال القبض((ما يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمنُ))

11- الآيتين الكريمتين(20-21-22)

في قوله تعالى((أَمَّنْ هذَا الَّذِي هُوَجُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمنِ إِنِ الْكافِرُونَ إِلاَّ فِي غُرُورٍ أَمَّنْ هذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ أَهْدى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ))

هنا في هذه الآيات الكريمة التي بدات بالاستفهام الإنكاري الذي يفهم من سياقه التوبيخ للجاحدين والمنكرين حيث تحدثت الآية (20) عن النصر الذي وبيد الله سبحانه وتعالى بينما الاية (21) تحدثت عن الرزق الذي هو بيده ايضا بينما الآية (22) تساءلت باستفهام استنكاري عن حال الكافر والمؤمن بعد ان ثبت عناد الكافر فهنا يقرر الشيخ الشيرازي ان سياق قوله تعالى(مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ) يدل على الانحدار والسقوط المعنوي قبل ان يكون محسوساً مشاهداً وهنا مقابله ضدية تحدد المراد من الضلال فكريا لا مجرد عثرة جسدية

يرى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ناقلًا عن بعض المفسرين، أن من المصاديق التي يمكن أن تنطبق على قوله تعالى :﴿**أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَم مَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ تمثّل صورتين متقابلتين في الواقع البشري؛ إحداهما تمثل الانحراف والضلال، والأخرى تمثل الاستقامة والهداية.

وعلى هذا الفهم، يُذكر أن بعضهم يرى أن هذه المقارنة يمكن أن تنطبق على شخصيتين متباينتين في الواقع التاريخي، هما الرسول الأكرم محمد ﷺ بوصفه نموذج الهداية والاستقامة على الصراط المستقيم، وأبو جهل بوصفه مثالاً للانحراف والضلال. فالأول يمثّل السير الواعي القائم على البصيرة، بينما الثاني يجسّد حالة التيه والاضطراب الفكري والسلوكي.

ومع ذلك، يؤكد هذا التفسير أن هذه الأمثلة لا تُعدّ تحديداً حصرياً للآية، وإنما هي من باب ذكر المصاديق التطبيقية التي تُقرّب المعنى إلى الذهن، إذ تبقى الآية ذات دلالة عامة وشاملة لكل من ينطبق عليه وصف الهداية أو الضلال في مختلف الأزمنة والأشخاص.

12- الآيات (23-24-25-26)

في قوله تعالى((قُلْ هُوَالَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ قُلْ هُوَالَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّـهِ وَإِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ))

هنا وظف الشيخ الشيرازي الامتنان والتذكير بنعم الله سبحانه وتعالى من باب إلقاء الحجة وتكرار قوله تعالى((قُلْ هُوَالَّذِي)) الذي يدل دلالة قاطعة على اقامة الحجة على المنكرين والجاحدين حيث يفهم الشيخ الشيرازي ان ذكر" السمع والابصار والافئدة" والذرء في الأرض هي من باب التذكير في النعم التي تستوجب الشكر وفي نفس الوقت التذكير بالقدرة العظيمة الموجبة للخوف فالسياق هنا ربط بين الخلق والابداع الاولي وبين البعث لان الذي انشئ الخلق قادر على إفنائه واعادته. حيث يحلل الشيخ الشيرازي سياق الآية الاستفهامي الذي بدا(متى)وهو سؤال تعنت يفهم منه الرد والجزاء في هذا السياق يأتي نتيجة

(35) الشيرازي، الامثل، ط٢، ٢٠٠٩

استهزائهم وعنادهم في مواجهة الحقائق الغيبية، إذ يوضح الشيخ ناصر مكارم الشيرازي أن المشركين لم يكونوا يطرحون سؤالهم حول يوم القيامة بدافع البحث عن الحقيقة، وإنما على سبيل التحدي والاستهزاء، حيث كانوا يطالبون بتحديد دقيق لموعد وقوع القيامة، متسائلين» :**مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ**«، في محاولة منهم للتشكيك في وقوعه أو التقليل من شأنه.

ويُفهم من هذا الموقف أن سؤالهم لم يكن سؤال استرشادٍ أو طلب هداية، بل كان تعبيراً عن حالة من العناد والإنكار، الأمر الذي يجعلهم مستحقين للجزاء نتيجة هذا السلوك القائم على الاستهزاء بمصيرٍ حتميٍّ يشمل جميع البشر. [36]

13 الآيات (27-28-29-30)

في قوله تعالى((فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّـهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنا فَمَنْ يُجِيرُ الْكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ قُلْ هُوَالرَّحْمنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ))

نجد في هذه الآيات ان الشيخ الشيرازي من بعد كل ما طرح من الحجج والبراهين الدامغة ضد الناكرين والجاحدين والكافرين قد وظف السياق ليخدم الخاتمة العقدية التي يعتقدها. بحيث قدم الايمان على التوكل لان العقيدة لديه قبل العمل، وهنا يستفاد سياق تربوي مهم من جانب السلوك والعقيدة.

ثم تختتم السورة المباركة بسياق الختم باللطف والتهديد ايضا، حيث ابتدات السورة بقوله تعالى(تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ) واختتمت بالماء الذي هو اساس الحياة((وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)) هذا المعنى قد أشار اليه الكثير من المفسرين منهم السيد محمد حسين طبطبائي صاحب الميزان حيث قال"و قوله: في قوله تعالى :﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ يُفهم من ظاهر السياق أن فعل «جعلنا» يُراد به معنى الخلق والإيجاد، وأن عبارة «كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» تمثّل مفعولاً به لهذا الفعل، بما يدل على شمولية الدلالة واتساعها لكل مظاهر الحياة.

ويُستفاد من هذا المعنى أن للماء دوراً أساسياً ومحورياً في نشأة الحياة واستمرارها، إذ يُعدّ عنصراً جوهرياً ترتبط به جميع الكائنات الحية ارتباطاً مباشراً، سواء في أصل التكوين أو في بقاء الحياة واستمراريتها. وبذلك تؤكد الآية على حقيقة علمية ودلالية في آنٍ واحد، مفادها أن الماء يمثل عنصراً بنيوياً لا غنى عنه في وجود ذوي الحياة كافة.[37]

الخاتمة

الحمد لله الذي بمنه تتم الصالحات، وبفضله علينا ان وصلنا الى خاتمه البحث، اسال الله تعالى ان يجعله في ميزان حسناتنا يوم العرض عليه، وان يجعلنا من أهل القرآن وخاصته والعاملين بما فيه ، لا المتقولين فيه، وان يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، انه سميع مجيب، وان يبعد عنا همزات الشياطين وهوى النفس، وقد تم انجاز هذا العمل فكانت خلاصة نتائجه كما يأتي

1. وجدت من خلال بحثي في تفسير سور الملك في تفسير الامثل ان السياق القرآن عند الشيخ الشيرازي احد الاركان المهمة في فهم النص القرآني وتفسيره، اليه يعود الفضل في فهم وتفسير الآيات القرآنية الكريمة، بلحاظ ما بعدها وما قبلها.
2. تبين من خلال البحث في تفسير (الامثل) ان الشيخ ناصر مكارم الشيرازي قد استفاد من توظيف السياق وانواعه كالسياق المقامي والسياق المقالي والسياق التاريخي في توجيه المعنى التفسيري وايصاله للقارئ بابسط صورة

---

[36] نفس المصدر

[37] الطبطبائي، الميزان في تفسير القران، دار الاميرة الطباعة والنشر، بيروت لبنان، ج١٤، ط١، ٢٥٥

3. بما ان فهم السياق القرآني يعتمد اعتمادا كليا على الاجتهاد والتبحر في علوم اللغة والبلاغة والمنطق وغيرها من العلوم، وجدت من خلال دراستي تفسير (الامثل) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، وهو علم من اعلام العلم والتدريس في علوم شتى وقد استفاد منها في فهم السياق القرآني.
4. تتجلى الأهمية الكبيرة لدور السياق في المساعدة على الفهم المراد من الآيات الكريمة، والترجيح احيانا بين الآراء المختلفة للمفسرين عند وجود الاختلاف، للوصول الى الوجه المناسب بين السورة والاية المراد تفسيرها او توجيه المتشابه اللفظي، كما ان السياق القراني يشارك في دفع الايهام والتناقض عن آيات الكتاب الكريم.
5. لم يحظى السياق القرآني باهتمام واضح من حيث التقعيد القواعد وتأصيل الاصول في العلوم القرآنية والتفسير لذا اجد من الواجب على المهتمين بالشأن القرآني ان ينتبهوا لهذا الامر ويحثوا الخطى حتى يكون منهجا واضحا لاختلاف فيه ولا لبس.
6. اجد من الضروري ان يأخذ بنظر الاعتبار المهتمون بالشأن القرآني بهذا العلم لما فيه من اسهام في تقليل الاختلافات في وجهات النظر من خلال تحديد الاطار الذي يجوز الاختلاف فيه

7. المصادر والمراجع

القران الكريم

1. احمد ابن فارس ،معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،دار الجيل،بيروت ،١٤٢٠هـ_1999م
2. ابو القاسم الزمخشري ،اساس البلاغة ،دار المعرفة،بيروت،تحقيق:عبد الرحيم محمود ،ص٣١٤
3. ابن منظور ،لسان العرب ،دار صادر،بيروت ،ط٤ ،٢٠٠٥
4. عبد المنعم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ،دار الوفاء ،ط١ ،ص٢٢ ،٢٠٠٧
5. الأمام الشافعي ،الرسالة ،تحقيق: احمد محمد شاكر ،الدار العالمية النشر والتوزيع،ط٢
6. فريد عوض حيدر ،فصول في عام الدلالة ،مكتب الاداب، القاهرة ،ط١،ص١٥٧، ٢٠٠٥
7. ابن دقيق العيد ،احكام الاحكام (شراح عمدة الاحكام) ،ج١،ص٢٧٨ط١، 2005
8. السيوطي ،الاتقان في عام القران ،تحقيق: مركز الدراسات القرآنية ،ط١ ،مجمع الملك فهد بالسعودية؟
9. محمد يونس علي ،وصف اللغة العربية دلاليا ،منشورات جامعه الفاتح، ليبيا، ص 102
10. فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الداخلي ومحمد القصاص ،منشورات الانجيلو مصريه القاهرة،ص 231
11. محمدالانباري، كتاب الاضداد ،تحقيق محمدابو الفضل ،دار التراث العربي، الكويت، ص 2
12. ناصر مكارم الشيرازي ،تفسير الامثل في كتاب الله المنزل، دار الأميرة، ط٢ ،بيروت لبنان 2009،ص 300
13. جعفر بن يعقوب الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية ،طهران ، ط 3 ،ج1
14. الطبرسي ،مجمع البيان لعلوم قران، نشر رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية ج١٠ ، ١٩٩٧،ص٨٢

الدراسات والبحوث

15. احمد حساني ،مباحث في اللسانيات ،ص 158
16. محمد الهادي عياد، دراسات في اللسانيات المقارنة ،ط١،ص١٢٨، ٢٠١٠